ضبط الكتابة العربية

بحث قدم الى مؤتمر المجمع اللغوى

الأستاذ محمود تيمور بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وجملة ما نادى به المنادون من المقترحات ، سواء ما كان منها يشيد باتخاذ الحروف اللاتينية، وما يتخذ للكتابة حروفا مخترعة ، وما يقتضى إدخال علامات أو أوضاع جديدة للحروف أو الحركات — جملة ذلك كله لم يسلم من النقد والاعتراض — وكان أكبر ما يثيره النقاد والمعترضون من مآخذ أن هذه المقترحات المعروضة لتغيير الكتابة العربية تقطع الصلة بين القديم والجديد . فإذا أخذ الناس بإحدى هذه الطرائق ، وكتبوا بها ، عجزوا عن أن يقرءوا ما تركه لنا الأولون من تراث ثقافى عريض ، وحيل بين الجيل الجديد وبين الانتفاع بذلك التراث الذى لا تزهد فيه الأمة العربية بحال

والحق أن الاعتراض بالقطع بين القديم والجديد دعوى لا تخلو من غلو فى القول ، وإسراف فى التصور . فإن أية حروف بل أية علامات وإشارات تكتب بها اللغة العربية لا تقطع بين قديم اللغة وجديدها ، ولا تفصل بين ماضيها وحاضرها . بل لعل حروفا مقتبسة أو مخترعة تكتب بها اللغة العربية تكون سبيلا إلى إحياء اللغة وتيسير اكتسابها ، ما دامت هذه الحروف المقتبسة أو المخترعة أدق ضبطا ، وأدنى تناولا . فإنها بهذا الضبط وقرب التناول تجعل المتعلمين أقدر على القراءة ملكة ، وأقوم لسانا ، وأفصح بيانا

وعلة إثارة النقاد والمعترضين لدعوى القطع بين القديم والجديد أنهم يخشون إذا اتخذت حروف مقتبسة أو مخترعة أن تظل المؤلفات العربية التى توارثناها على توالى الأحقاب مستغلقة مستبهمة لا يعيها قارئ . وبذلك تفقد الأجيال اللاحقة ما خلفته الأجيال السابقة من عصارات القرائح والعقول

ولكن الحق أن جيلا جديدا إذا شب عربيا فى منطقه ، بأية حروف وبأية علامات ، فتمكن من قراءة الكلام العربى مضبوطا أدق ضبط ، معربا أصح إعراب ، واكتسب بذلك ملكة الإفصاح فإن هذا الجيل الجديد لا يعجزه بعدئذ أن يرجع إلى المؤلفات التى كتبت بالحروف العربية القديمة ، وأن يقرأ ما فيها من بيان ، وينتفع بما حوت من علم وأدب ، وذلك إذا أنفق القليل من الساعات فى تعلم صور الحروف العربية القديمة ، بادلا فى هذه السبيل أيسر جهد

ولا ريب أن كل امرئ فى مكنته تعلم الصور الخطية لثمانية وعشرين حرفا ، أية كانت ، فى ساعات معدودات ، وبجهد غير معسور

ولو قدر للأمة العربية أن تتواضع على اقتباس حروف أجنبية ، أو اختراع حروف جديدة ، لوجب مع ذلك أن نلزم الناشئة تعلم تلك الصور القديمة للحروف العربية . حتى إذا شبوا وقد انقادت اللغة لألسنتهم ، ومرنوا على ضبط نطقها ، وأحسنوا تصريف كلماتها ، وأمنوا من اللحن فى إعرابها — استطاعوا بمعرفتهم حروف العربية القديمة أن يطالعوا ما شاءوا من تراث السلف ، ولا سيما المراجع الكبيرة ، وأمهات الكتب ، فى فروع العلوم والفنون والآداب

وستظل الحاجة إلى تعلم الحروف العربية القديمة قائمة ، حتى يتسنى لنا أن نعيد طبع هذه المراجع وأمهات الكتب بالحروف التى نتواضع عليها . وستقل وطأة حاجتنا إلى هذه الحروف كلما مضينا أشواطا فى طبع تلك الكتب والمراجع . ولكن قدرا من هذه الحاجة سيبقى قائما وإن أعدنا طبع مئات من المؤلفات ومئات

ومن هذا يتبين أن تواضعنا على أية حروف لكتابة اللغة العربية ، لا يقطع الصلة بين قديمنا وجديدنا فى ميدان التأليف . فالصلة باقية ، وربما بقيت على نحو أوثق مما هى الآن . وغاية ما هنالك أن الأمر يقتضينا معرفة حروف العربية القديمة ، فإذا عرفناها وضح لنا الطريق إلى منهل التراث العربى ، نعب منه ما وسعنا أن نعب لا يصدنا عنه شئ

بيد أن هذا المنطق الذى نراه واضحا كل الوضوح ، لا يصرفنا عن أن نسأل أنفسنا :

أنريد الحقائق النظرية ، أم نريد الواقع العملي ؟

إن كنا نريد النظريات ، فمجال القول ذو سعة ، وميدان الاقتراح رحيب الجنبات ، تتنافس فيه الأذهان

وأما إن أردنا الواقع الملموس ، فيجب أن نسارح أنفسنا في غير مواربة ولا مراء

لغتنا العربية في جوهرها ومظهرها ليست ملكا لوطن وحده ، ولا هي مقصورة على دولة بعينها ، ولكنها شركة بين طائفة من الأوطان والدول . وجلي غاية الجلاء أن هذه الطائفة التي تضم بين جوانحها الأمة العربية كلها يجري فيها اتجاه واضح إلى الإبقاء على الكتابة العربية القديمة ، والنهيب للعدول عنها ؛ وإن كان الرأي العام في الأمة العربية كلها يؤمن بقصور تلك الكتابة عن الوفاء بحاجات الضبط ، ويعاني من صعوبتها ما يعانيه

ثمة عامل نفسي يسري بين جوانح الأمة العربية ، من أغفله لم يأمن الشطط . فإن جماهيرنا في نهضتنا الحديثة التي تقوم على أساس الحضارة الغربية الراهنة ، تتملكها نزعة المبالغة في الحرص على مشخصاتها القومية ، وهذه الجماهير — في شديد حرصها ذلك — تتوهم أن حروف كتابتنا العربية إحدى هذه المشخصات فإن نبذتها كان ذلك إمعانا في التطرف ، وهدما للمأثور ، وتفريطا في الجانب القومي العزيز

وعلى الرغم من أننا طلاعون في نهضتنا إلى الأمام ، آخذون من الحضارة بكل الأسباب ، فإن جماهيرنا تلك ما برحت تحت وطأة من تقديس التقاليد المتوارثة ، تضن ما وسمها الضن بالعزول عن شيء من شؤون حياتنا الاجتماعية ، وإن كان من الظواهر والقشور

والحروف العربية القديمة ، وإن كانت لا تزيد على أنها أداة تصوير ، وليست هي من جوهر اللغة في قليل ولا كثير ، فإنها قد اتخذت في أوضاعها القائمة ، مسحة من التقديس ، لشدة الألفة بها ، وطول العهد معهما ، وجلال القدم فيها . ولذلك لا يحسب كل تغيير يلحق بها إلا استخفافا بشيء تحيط به هالة من الجلالة والإكبار

وإذن فهذا العامل النفسي المتأصل ، هو الذي يقف عقبة في سبيل ما ينادي به المفكرون وذوو الرأي ، من اتخاذ حروف جديدة مقتبسة أو مخترعة للكتابة العربية

ولا خلاف على أن العوامل النفسية التي تستقر بين جوانح الأمم لا تسقط جملة بقوة منطق ، وروعة دفاع ، وحجة إقناع ، وأنها كذلك لا تسقط بظهور مضرة ، واستبانة نفع ؛ فإن للعوامل النفسية أسبابها وملابساتها . فإذا زالت هذه الأسباب والملابسات رويدا زالت معها تلك العوامل رويدا . وليس كالزمان دواء لها وعلاجا

هيهات أن يفرض اقتراح جديد للكتابة بقانون . وهيهات أن يلزم الناس به إلزاما بإقناع ، وكل محاولة تجافي المجرى الطبيعي لتطور نفسية الأمم مكتوب لها الإخفاق

فمن حق الأمة العربية علينا أن نساير في عهدها الحاضر رأيها العام . وأن نسوس هذا الرأي في حكمة وأناة ، حتى يحين وقت تهيأ النفوس فيه لقبول الجديد

فالإجراء الذي يمكن أن تكفل له قبول الأمة العربية في جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حل لا تتغير فيه الحروف القائمة ، ولا تتنكر معه صورتها المألوفة

ومتى اتسق لنا تحقيق رغبة الرأي العام في استبقاء القديم ، فإن الناس جميعا يرحبون بما نتخذ من وسيلة لتذليل المصاعب التي تعترض حل تلك المشكلة في ميدان الطباعة

وقد حدانا هذا على أن نعرض طريقة تقوم على أساس الكتابة العربية في أوضاعها الراهنة ، بيد أننا نتقي منها ما كان عائقا عن إدخال علامات الضبط في الحروف المطبعية

إن صندوق الحروف في المطبعة العربية يحمل لكل حرف صورا متعددة ، منها المفرد ، ومنها ما يقبل الاتصال بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها ، وبحسب وقوع الحروف في بنية الكلمة المركب بعضها فوق بعض . ولذلك اتسع صندوق الحروف من ناحية ، فتعذر أن يحتمل معه صندوقا آخر لعلامات الضبط . وتركبت الكلمة من ناحية أخرى ، فأصبح وضع علامات الضبط عليها غير دقيق . وهذا كله هو سر استثقال علامات

الضبط ، وإخفاقها فى أداء مهمتها ، وهو العقبة فى سبيل استعمالها فى الكتب التى تخرجها المطابع

وإنى أرى أن نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة ، وبذلك يكون صندوق الحروف المطبعية عيونا لا تتجاوز الثلاثين عينا ، فنتخلص من تلك العيون التى تزيد على ثلاثمائة ، وأن نتخذ علامات الضبط المتعارفة التى يجرى بها الاستعمال . وسيرحب بها الصندوق الذى تخفف مما كان يغص به من الصور المتعددة للحروف الأصلية ، وانفسحت جوانبه لتقبل هذه الحركات فى غير مشقة ولا عسر . وطوعا لهذا يتوافر للطباعة غنم من السهولة والتيسير ، كما يتوافر للكتابة غنم من نعيم الضبط بلا عناء

وأقترح أن تكون الصورة التى نقتصر عليها من صور الحروف هى الصورة التى تقبل الاتصال من بدء الكلمات ، وهى التى يسميها أهل فن الطباعة : حروفا من الأول ، على أن نؤثر الكاف البسوطة ، وتظل حروف الألف والدال والذال والراء والزاى والواو والتاء المربوطة واللام ألف باقية على صورتها فى حالة إفرادها

وأكبر ظنى أننا لو أخذنا بهذه الطريقة لحللنا مشكلة الكتابة العربية الآن على نحو لا يثير اعتراضا ، ولا يتطلب تهيئة الأذهان للرضا بتغيير طارئ ، وإقناع الرأى العام بقبول شئ جديد

وعندى أن هذه الطريقة تتحقق بها المزايا الآتية :

أولا : أنها تنفى شبهة القطع بين القديم والجديد ، فالحروف هى الحروف المعروفة ، وعلامات الضبط هى القديمة المألوفة

ثانيا : أن الحروف ستكون واضحة لا خفاء بها . فهى غير مركبة ، بل مبسوطة ، يعرب فيها كل حرف عن صورته فى تميز واستقلال

ثالثا : أن علامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها ، تأخذها الأنظار باللمح ، فلا ترجع العلامات بين الحروف المركبة فى الكلمة الواحدة إذ أن كل حرف رحب الصدر لما يقع فوقه أو تحته من علامة الشكل . وبذلك تأمن العلامات من التزحزح ، وتسلم من التعرض للخطإ والاضطراب

رابعا : أن اتخاذ صورة واحدة للحروف فى جميع مواقعها من الكلمات ، أولا ووسطا وآخرا ، سيجعل تعليمها أيسر مؤونة ، لأننا لا نروع المتعلمين بالحرف الواحد متعدد الصور ، مختلفا فى حالة إفراده عنه فى أحوال تركيبه . ولذلك أثره فى تعليم القراءة للناشئين ، ومكافحة الأمية على وجه عام بين الأهلين

خامسا : أن المصاعب التى تتجشمها المطبعة الآن لا يبقى لها محل . فإن صندوق الحروف سيتحرر من أكبر ما يثقله . فإذا أضفنا إليه علامات الشكل لم يضق بها جيما . وسيصبح ذلك الصندوق الذى يحوى الحروف وعلامات ضبطها جميعا لا يزيد على خمسين عينا ، على حين أن صندوق الحروف غير المشكولة فى حالتها الراهنة المتعددة الصور يربى على ثلاثمائة

سادسا : أن وقت العمال الذى كانوا ينفقونه فى اجتلاب صور الحروف على اختلافها سيوافرهم ، فينفقون القليل منه فى اجتلاب الشكل . وسيصبح صفهم لكلمة مشكولة يتطلب من الوقت والجهد أقل مما كان يتطلب صف كلمة لا شكل فيها

سابعا : أن اجتناب التركيب فى الحروف سيجعل الكلمات مبسوطة ذات أفق أقل انخفاضا من الأفق الذى تقتضيه الكلمات المركبة الحروف ، فتزداد السطور فى الصحيفة ازديادا يعوضها مما يستلزمه انبساط الحروف من اتساع الحيز

ولقد رغبت إلى المطبعة فى أن تسن هذه الطريقة فى صف جملة من الكلام ، فلم تعن بذلك ، وأثبتت التجربة أن الطريقة لا تعترضها فى العمل عقبات ، مع أن المطبعة اعتمدت فى إنجاز ذلك على صندوق الحروف الذى يجرى به الاستعمال الآن

ولو أن هذه الطريقة لقيت حظا من القبول ، ووضعت موضع التنفيذ ، لتوقعنا أن يزودها أهل الفن فى مسابك الحروف بما يوحى به وضعها الجديد ، وأن يزيدوها تجميلا ، ويضيفوا إليها من ألوان التعديل والتنسيق ما يجعلها أدق أداء ، وأنق منظرا ، وأدنى إلى الرضا والاستحسان

بقى أن نعرض لشئ لا نجد سبيلا إلى أن نضرب عنه صفحا، ذلك هو أن لمشكلة ضبط الكتابة جانبا غير الجانب الطبعى الفنى الذى تحله هذه الطريقة

إن المطالبة بضبط الكتابة أمر تعترضه مصاعب يتبرم بها الكاتبون . فإنا إذا رغبنا إلى كل كاتب أن يقدم ما يكتبه إلى المطبعة مشكولا على وجه الدقة ، استشعر من ذلك عنتا ، ولاقى فى سبيله رهقا أليس هو مطالباً بأن يتحرى الصواب فى الضبط؟

وهل يتسنى لكل كاتب أن يحسن ضبط ما يكتب ؟ أو ليس ذلك يقتضى بصرا باللغة ، وإتقانا لقواعد النحو والصرف ، حتى لا يكون الضبط الجديد سبيلا إلى إشاعة الخطإ من حيث يبتغى إشاعة الصواب ؟

ولكن هذا الذى نتوقعه ونخشاه من شيوع الخطإ إذا أريد الكاتبون على ضبط ما يكتبون ، دليل أسطع دليل على أننا تموزنا المرانة على سلامة النطق وصحة الإعراب ، دليل على حاجتنا القصوى إلى تعميم الضبط فى الكتابة

على أن لكل تغيير طارئ مصاعبه الأولى ، ولكل إصلاح عثراته فى فواتح الطريق ، حتى يستقر الأمر ، وتستتب الحال . فلا ريب فى أننا حين نأخذ أنفسنا بضبط ما نكتب سيشيع بيننا خطأ كثير ؛ إلا أن هذا الخطأ سيقل ويضمحل على توالى الزمن وفقا لتتبع النقاد ، والرغبة فى توخى الصواب . ولا ريب كذلك فى أن الأمر سيقتضى تخصيص طائفة من البصراء باللغة للاشراف على كل ما تخرجه المطابع من كتب وصحف ومجلات ، حتى تبرأ من اللحن والخطإ فى ضبط الكلام

ومر الأيام كفيل بإنشاء جيل جديد من الكتاب والمؤلفين يفنون بقدر كبير أو صغير عن معونة المراجعين والمصححين . وهذا الجيل ناشئ حتما متى شب على قراءة ما يقرأ مضبوطا أتم ضبط ، إذ يتعود سلامة النطق، وتستقر فى أذهانه صيغ الكلمات والجمل مضبوطة معربة ، فيكتبها كما ألفتها عينه ، ويتلفظ بها كما سمعتها أذنه . وبذلك يقتطف ثمرة النحو والصرف دون تخصص فى تعلم النحو والصرف . شأنه فى ذلك شأن الشاعر المطبوع حين ينظم ما ينظم صحيحاً لا خلل فيه ، طوعا لما أدمن من قراءة الشعر ، ولو لم يعرف من علم العروض شيئا

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة التى نراها حلا للمشكلة الفنية المطبعية فى ضبط الكتابة ، طريقة ميسورة ، لا تقف فى سبيل تنفيذها عقبة ، فإننا لا نستطيع أن نلزم بها الأمة العربية إلزاما ، ولا أن نفرضها على المطابع فرضا . ولكن يجب أن ندعو إليها دعوة عملية طبيعية تركها عند الناس، ونحدوهم على اتخاذها بالطوع والاختيار

ولعل أهدى سبيل إلى تحقيق تلك الدعوة هو أن تلتزم وزارة المعارف طبع كتبها التعليمية فى مختلف المواد والمراحل ، وافية الشكل ، صحيحة الضبط ، بهذه الطريقة الهينة الميسورة . ولن تجد الوزارة فى سبيل ذلك ما كانت تجد من مصاعب فنية ، وعقبات مطبعية ، حالت بينها وبين تعميم الشكل فى كتب التعليم

فإذا ألزمت وزارة المعارف نفسها بهذا الإجراء ، كان ذلك حافزا على اتخاذ تلك الطريقة فى محيط الجمهور

وسينشأ تبعا لذلك عامل نفسى لتأييد تعميم الضبط فى سائر المطبوعات ، هو عامل التأسى والاقتداء ، عامل التنافس فى إظهار القدرة على إخراج كتب مشكولة ، تشبها بما تخرج وزارة المعارف من كتبها فى شتى مواد العلوم والفنون والآداب

ويومئذ يتحقق غرض منشود ، سعى إليه « مجمع فؤاد الأول للغة العربية »، وابتغى إليه الوسيلة ما وسعه أن يبتغى ، ذلك هو تعميم الضبط فى الكتابة العربية على نحو ميسور

محمود تيمور

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد